٤ فبراير وملاحظات أخرى

كنا ننتظر من كاتب كبير مثل الدكتور عبدالعظيم رمضان، عندما يكتب فى ذكرى حادث خطير مثل حادث ٤ فبراير، ان يكتب عن طغيان الاستعمار وجبروته، وغطرسة السفير البريطانى فى ذلك الوقت وصلافته، حتى يعرف شباب هذا الجيل قسوة الظروف التى مرت بها مصر ايام الاحتلال، وحتى يتعلموا ان استقلال الارادة الوطنية هو الهدف الاسمى فى حاضرهم ومستقبلهم، فلا يسمحوا لأية قوة أن تتحكم فى ارادتهم او تفرض وصايتها عليهم مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

لكن الدكتور عبدالعظيم رمضان – فى ذكرى حادث ٤

مصطفى النحاس

فبراير – كان رقيقا على الاستعمار والمستعمرين، وشرع قلمه يهاجم الزعامات المصرية التى قاومت ذلك الاستعمار وتصدت له، وكأن الذى حاصر القصر الملكى بالدبابات هم

أمين عثمان

الزعماء المصريون وليس الاستعمار البريطانى..!!

وعندما اراد الدكتور عبدالعظيم رمضان ان يدافع عن الدور الذى نسب الى المرحوم امين عثمان فى ذلك الحادث، لم يجد تبريرا لهذا

احمد طلعت
المحامى

الدور سوى القول بأن اتصال امين عثمان بالانجليز كان بهدف التعاون معهم على اعادة الحكم الديمقراطى فى مصر، وهو بذلك لا ينفى الاتهام عن امين عثمان – بل يؤكده – فضلا عن انه فى ذات الوقت يبرر عدوان المستعمر على السيادة والارادة المصرية، وهو تبرير لا يتفق معه فيه احد من المصريين على اختلاف انتماءاتهم السياسية.

بل ان الدكتور عبدالعظيم رمضان بهذا التبرير يخالف – وحده – المواقف الثابتة والمعلنة لحزب الوفد ذاته على مدى اكثر من نصف قرن. ولقد حرص النحاس باشا – يرحمه الله – منذ اليوم الاول لتشكيله الوزارة فى اعقاب حادث ٤ فبراير على نفى اى صلة للوفد او رجاله بتدبير ذلك الحادث فوجه خطابه الشهير الى السفير البريطانى – فى ذلك الوقت – والذى قال فيه حرفيا «لقد كلفت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذى صدر من جلالة الملك بما له من الحقوق الدستورية، وليكن مفهوما ان الاساس الذى قبلت عليه هذه المهمة هو انه لا المعاهدة البريطانية المصرية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية وبخاصة فى تأليف الوزارات أو تغييرها».

وقد اجبر هذا الموقف من مصطفى النحاس السفير البريطانى – السير مايلز لامبسون – ان يرد بخطاب يقول فيه ما نصه حرفيا «لى الشرف ان اؤيد وجهة النظر التى عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم، وان اؤكد لرفعتكم ان سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة، فى تنفيذ المعاهدة البريطانية المصرية، من غير أى تدخل منها فى شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الحكومات او تغييرها».

وهذان الخطابان محفوظان فى سجلات مجلس الوزراء، ومنشوران فى جريدة المصرى – لسان حال الوفد – فى عددها الصادر صباح يوم السبت ٧ فبراير عام ١٩٤٢ ويمكن لمن اراد من كتاب التاريخ ان يستوثق من ذلك اذا اراد.

فهل بعد هذه الوثائق المكتوبة يجوز – او يليق – القول بأن امين عثمان قد اتصل بالانجليز من اجل اعادة الحياة الديمقراطية فى مصر..؟؟

وكنا ننتظر من الدكتور عبدالعظيم رمضان وهو يهاجم النظام الديمقراطى فى مصر قبل الثورة ان يكتب عن ايجابيات النظام وسلبياته، وكيف كان الاحتكام للدستور هو سلاح الشعب فى وجه الطغيان، حتى يتعلم شباب هذا الجيل كيف يتمسك بحقوقه الدستورية، وكيف يقاوم أى اعتداء على سلطة الشعب، أيا كان مصدر هذا الاعتداء، وكيف تكون الدساتير الحقيقية عهدا بين الشعب وحكامه لا يجوز لهم ان يتجاوزوها أو أن يسخروها لخدمة سلطانهم المطلق.

كنا ننتظر ان يقول لنا الدكتور عبدالعظيم رمضان كيف وضعت الدساتير – بعد دستور ٢٣ – وكيف اقيمت ديكورات الديمقراطية لخداع الشعب واعطاء الحكام شرعية مزيفة يباشرون فى ظلها ابشع صور الديكتاتورية..

وكنا ننتظر من الدكتور عبدالعظيم رمضان ان يكتب عن التعددية الحزبية، وتداول السلطة، وحرية الرأى والتعبير والعمل النقابى، والحق فى تكوين الاحزاب السياسية، فى ظل دستور ٢٣ حتى يرى شباب هذا الجيل الفارق بين الدساتير الحقيقية والدساتير اللقيطة التى يقصد منها خداع الشعب وتزييف ارادته.

وكنا نتوقع منه ان يشيد بالمواقف الوطنية لكل الزعماء على اختلاف اجتهاداتهم، لتكون فى ذلك قدوة لشباب هذا الجيل، فيرفضون الشمولية، والزعامات المصطنعة، وبطولات اجهزة الاعلام ومانشتات الصحف.

كنا نتوقع منه ان يتحدث عن مصطفى النحاس ودوره فى توقيع معاهدة ٣٦ من اجل مصر، ومبادرته بالغائها فى عام ٥١ من اجل مصر ايضا..

كنا نتوقع منه ان يتحدث عن احمد ماهر ودوره فى اعلان الحرب ضد ألمانيا النازية مما سمح لمصر بتقوية جيشها، وبأن تكون بعد نهاية الحرية عضوا مؤسسا فى هيئة الامم المتحدة، وأن تحصل على نصيبها من تعويضات الحرب..

كنا نتوقع منه ان يتحدث عن النقراشي ودوره العظيم فى عرض قضية مصر على مجلس الأمن، وهو الموقف الذى تحدث فيه دولة صغيرة – لأول مرة فى التاريخ – امبراطورية عظمى لا يغرب عنها الشمس.

كنا نتوقع منه ان يتحدث عن موقف وطنى للمرحوم امين عثمان – لا يختلف فيه اثنان – هو دوره فى الغاء صندوق الدين وتحويل بقية الدين الاجنبى الى قرض وطنى اكتتب فيه المصريون ليتحرروا من التدخل الاجنبى. لكن الدكتور عبدالعظيم رمضان اهمل هذا الموقف العظيم لأمين عثمان ليتحدث – فقط – عن شائعة اتصاله بالانجليز لاعادة الوفد الى الحكم..!!

ومع الاسف الشديد فان كثيرا مما نراه الآن من مظاهر السلبية واللامبالاة عند الجيل الجديد من الشباب يرجع – فى معظمه – الى غياب القدوة والمثل الاعلى، وفقدان الصلة بالماضى، وهو الهدف الذى سعى اليه العسكريون، وساعدهم عليه بعض الوراقين ممن احترفوا صناعة الكتابة وسخروا اقلامهم لخدمة الزعيم الاوحد..!!

جريدة الوفد - ٥ مايو ١٩٩٩